دراسة تحليلية لبعض مصطلحات التأويلية عند غادامير

خالد أحمد السباعي[1]

كلية الآداب – جامعة مصراتة

تاريخ التقديم: 15-08-2021، تاريخ القبول: 08-09- 2021، نشر إلكترونيا في 13-09-2021

https://doi.org/10.36602/faj/2021.n.18.06

ملخص البحث:

لئن كان لكل علم مصطلحاته الخاصة به، فكذلك للفلسفة مصطلحاتها ولو أن الفلسفة هي فكر ومنهجها فكر الفكر، ولها ما يميزها عن غيرها كونها تتقوم بأنساقٍ فلسفية متنوعة بثقافات الفلاسفة، لما بينهم من اختلاف يعود في أساسه لبيئاتهم بل حتى لأديانهم التي شكلت رؤاهم، لذلك فإن الفلسفة وإن بدت كلٌّ واحد إلا أنها في الواقع فلسفات تتشابه وتختلف وتتناقض وتتضاد، تبعًا للمنطق الذي يشكل أساس كل فلسفة منها، فالفلسفة الواقعية مثلًا هي غير المثالية والفلسفة المادية العلمية هي غير الروحية، وكذلك الاتجاه التحليلي الرياضي هو غير الاتجاه الإنساني، ولكل اتجاه موضوعاته وفلاسفته وفلسفته التي تطبعه بطابعها وتميزه عن غيره، والهرمنيوطيقا من بينها لها موضوعها وفلاسفتها وطابعها الذي يشكل هويتها ويميزها، فموضوعها يتمثل في التقاءٍ بالوجود من خلال اللغة، فتجمع بذلك بين الوجود والإنسان وما يعنيه في بوتقة واحدة، ولها فلاسفتها من "شلايرماخر" مرورًا بـ"دلتاي" ووصولاً إلى "غادامير"، وعلى ذلك، ينحصر البحث في تناول بعض مصطلحات غادامير الهرمنيوطيقية سعيًا لتبيانها والوقوف على مضامينها ودلالاتها، خاصة وأنه تقدم بالهرمنيوطيقا خطوة للأمام حينما أخذها إلى المرحلة "اللغوية"، حيث رأى أن الوجود الذي يمكن فهمه هو اللغة، وحتى ينجز البحث كان لزامًا البدء بشيء من التوضيح عن نشأة الهرمنيوطيقا، وسمات المصطلح الفلسفي عمومًا.

الكلمات المفتاحية: *التأويل، الفهم، الوعي، نص، المؤول، متلقي.*

[1] khaledsebaie31@art.misuratau.edu.ly

ISSN 2664-1682

A Study in some of Gadamer's Hermeneutic Terms

Khaled Sebaie
Faculty of Arts, Misurata University

Abstract

Each of sciences has its own terminology, so also philosophy has its own, even if philosophy is thought and its method is the thought of thought. Philosophy has what distinguishes it from other sciences as it is based on various philosophical systems, doctrines and trends, with the diversity of the philosophers cultures, due to the difference between them that is mainly due to their cultures, even to their environments and religions that formed their visions and philosophies, therefore, philosophy in general, although it is seen by those who do not specialize in it as having a common orientation, but in reality are disciplines that have similarities, differences and even contradictions, according to the logic that forms the basis of each philosophy, for example, realistic philosophy is not idealistic one, and scientific materialist philosophy is not a bio-spiritual one. Likewise, the analytical-mathematical trend is not the human one, for each trend has its themes, its system, its philosophers, and its philosophy that characterizes it with its character and distinguishes it from others, its subject is a meeting with existence through language, thus combining existence and man, the worlds of man and what he suffers and what he aims for in one crucible. Hermeneutics has its philosophers from "Schleirmacher" through "Dilthey" to "Gadamer". Accordingly, the research is limited to dealing with some of "Gadamer's" hermeneutic terms, in an effort to clarify them, reveal their ambiguity, and determine their implications and connotations, especially since he made hermeneutics a step forward when he took it to the "linguistic" stage, when he saw that the existence that can be understood is language.

Keywords: *Interpretation, Understanding, Consciousness-Text, Interpreter, Perceiver*

ISSN 2664-1682

1. المقدمة:

تعد الهرمنيوطيقا أو نظرية التأويل وممارسته الاتجاه الأقدم فلسفيًا في سبر غور النصوص وكشف كنهها، فكل مصطلح يمتلك تصريحًا ظاهرًا في الوقت الذي يمتلك أيضًا تلميحًا مخبوءًا يحفز على المشاركة لإظهاره، وهذه المشاركة لا تُنتَظرُ من غير القارئ الزاخر المؤثث الذهن[1]، المتقد بالمؤهلات الفكرية والمهارات اللسانية وحتى غير اللسانية والكفاءات اللغوية التي تهيئ للممكن والمتخيل، وكذلك لديناميكا التنقل بين ماضٍ فات، وحاضر وآت، التي من شأنها تأهيله بالمقدرة على استجواب النصوص واستنطاقها وإبراز ما تحويه من مسكوتٍ عنه يأبى التجلي بالتصريح والتلميح أحيانًا، ولا غرو في ذلك مادامت الهرمنيوطيقا هي التأويل بما يعني حمل اللفظ على المعنى المجازي أو الاستعاري أو الكنائي أي بما هو مضمر ومستور، وللهرمنيوطيقا مصطلحاتها الملغِزة الدالة على هوية الفكرة التي تحملها وتريد تبليغها، هوية التأويل والتطبيق في آنٍ معًا، ومصطلحات "أنا" و"أنت" وما بينهما من علاقة تَسم الوعي التاريخي.

1.1 مشكلة البحث:

يستقصي هذا البحث بالدراسة والتحليل بعض مصطلحات غادامير الهرمنيوطيقية، من حيث كونها تمثل مصطلحات تربط بين الوجود واللغة، ويبحث في سياقها الفلسفي الذي ارتبط فيه ما هو إنساني محض باللغة والفهم والتاريخ والواقع، وكشف براعة غادامير في جعل الذاتية "مركزية" في عمليتي الفهم والتأويل، التي لا تتم بمعزل عن التاريخ بمكوناته

(1) المُؤَثَّثِ أي المؤثر وفي التَّنزِيلِ العَزِيزِ {أثاثا ورئيا} مريم 74 وتأَثَّثَ الرَّجُلُ أَصابَ خَيْرًا. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (10/ 171).

ISSN 2664-1682

الثلاث (الماضي والحاضر والمستقبل)، تلك الذاتية التي يراها تصوغ كيان المتلقي وفهمه ولن تنزاح جانبًا مهما حاول الفكاك عنها، فما الذي يمكنه القيام به إزاء وضعه هذا؟

2.1 أهمية البحث:

يستمد البحث أهميته من أهمية موضوعه الذي يسعى للوقوف على معانيه ومضامينه، ذلك أن الوقوف على معاني مصطلحات فلسفة ما، هو في بعده الأقصى وقوف على هويتها وطابعها الذي يميزها عن غيرها، كما أنه وقوف على آلية تمثل عنوانها وطريقة التعامل معها وتوظيفها، فمصطلحات كل فلسفة تتضمن توجهاتها ورؤاها ووجهات نظرها وتوقعاتها، ومن ثم بحث توظيفها والاستفادة منها.

3.1 أهداف البحث:

الهدف العام، ويتمثل في إثراء البحث الفلسفي في مجال المصطلحات الفلسفية، والهدف الخاص يتمثل في محاولة الوقوف على معانٍ لمصطلحات فلسفية هرمنيوطيقية، وبحث الكيفية التي صِيغت بها هذه المصطلحات تنقلًا بين الفهم واللغة من جهة، وتبيين دور المشاركة الذاتية في ذلك من جهة أخرى بفضل ما تنطوي عليه الذات من مؤهلات تملكها، ويمكنها توظيفها وصولًا للإبداع التوليدي.

2. منهج البحث:

يرتبط منهج البحث ارتباطًا وثيقًا بموضوع الدراسة لمناسبته له، وهو المنهج الفلسفي التحليلي التركيبي الذي يتمثل في تحليل المصطلح، ومن ثم استنتاج مضمونه، كما استخدم المنهج التاريخي أحيانًا نظرًا لما يقتضيه تتبع تاريخ المصطلح إذ لكل مصطلح تاريخه، مع اللجوء أحيانًا للمنهج المقارن متى اقتضى الأمر ذلك.

ISSN 2664-1682

3. الهرمنيوطيقا أو نظرية التأويل:

1.3 نشأة الهرمنيوطيقا وطبيعتها:

الثابت أن لنشأة الهرمنيوطيقا صلة وثيقة بدورها ووظيفتها، فقد عرفت لأول مرة في اليونان القديمة مقرونة بالفعل Hermeneuin الذي يعني تأويل المرتبط تاريخيًا برسول مجمع "آلهة" "Pantheon" في الأولمب الذي كان يبلغ رسائل تلك الآلهة للبشر، يحمل إليهم ما هو خافٍ عنهم، وهو في نظرهم مُلمٌّ بلغة الآلهة ورموزها ناهيك عن لغة البشر ومقاصدها، ولذلك صار كل ما احتاج لتأويل من بلاغ أو نص هو في جملته من مُلْقٍ إلى متلقٍ، أو من مُنتمٍ لعالم إلى مُنتمٍ لعالم آخر، إنه نقطة التقاء لخفاء سابق مع باحث لاستظهاره، كتلك التي بين "عالم النص وعالم القارئ، وبالتالي فهناك حاجة دائمًا لهرمس لكي "يترجم" من أحد العالمين إلى الآخر" (عادل مصطفى،2018 ،ص37)، وأن تؤول To interpret يعني أن تستظهر أو أن تترجم معنى، ولا يكون ذلك إلا بالدراية والخبرة القادرة على التعبير بعد أن أجرى المؤول لذاته "موضعة ذاتية" "Objectification" تمكنها من إظهار ما هو حبيس عالمه الخاص للعلن، أي أن تنتقل من المحتوى الظاهر إلى المضمون الكامن المخفي، وذلك من خلال فك كل الرموز والإشارات والإيحاءات سواء كانت محددة المعنى Univocal أو متعددة أي ملتبسة المعنى Equivocal حسب تصنيف "ريكور" بما فيها تلك التي في الأحلام، وحتى يتسنى ذلك، فإنه لابد من الممارسة الهرمنيوطيقية التي تكفل التنقل السلس بين الماضي والحاضر، خاصة وأن طبيعتها تعطينا الأساس لكونها "لم تكن أبدًا سكونية، إذ إن الكيفية التي نقرأ بها النصوص ونفهمها هي متغيرة باستمرار، تمامًا كما يتغير فهمنا لأنفسنا" (دافيد جاسبر،2007،ص22)،

ISSN 2664-1682

فديناميكيتها "حركتها" هي بمنزلة استعادة للوعي القادر على ضم آفاق الزمان بأبعادها الثلاثة ووضعها على مشهد ممتلئ بالحياة بعد أن أخذ بشتى نواحي مجامع الوعي عليه.

2.3 سمات المصطلح:

يتميز كل مصطلح بأنه يملك اتحادًا لا يقبل الفكاك بين مفهومه وصورته، خاصة وأن كلمة منطوقة تتضمن فكرة ربما تمتُّ بصلة للعقل أكثر من الحس أو بالعكس، إلا أنه رغم ذلك يظل أولًا وأخيرًا مفهومًا يحمل نوعًا من الوجود، ويمثل صورة تعبر عنه، وبما أنه كذلك فهو كالكائن الحي مقدرًا له أن يكون له عمره الذي قد يمتد به لعصور أو يكون رهن عصره فحسب، كما أنه قد يغيب لقرون، ويعود في أحيانٍ أخرى ليبقى ويحظى بأهمية بالغة كمصطلح الديمقراطية مثلًا الذي ملأ الفلسفة السياسية منذ عهد "سولون الأثيني" ''Solon'' (640-560 ق.م) إلى قتل الفيلسوف سقراط وهجوم أفلاطون عليها وأرسطو، وظل قرونًا طويلة غائبًا حتى القرن السابع عشر الميلادي، ليشهد المصطلح عودته مع عهد "العقد الاجتماعي" وانتعاشه من جديد، وكل مصطلح له تاريخه الذي يشهد بميلاده ودوامه وزواله وعودته إن كانت له عودة، وعليه، فإن مهمة تتبع مسيرة المصطلحات لقدر ما تبدو رائعة فإنها بالقدر ذاته تنطلي على شيء من التعقيد، الذي يتطلب الوقوف على كنهه والظروف التي نشأ فيها سواء من حيث الزمان أو المكان، ثم إن المصطلح يحدث أن يهاجر من فكر إلى آخر، و من زمان إلى آخر، فمصطلح "متفائل" مثلا كان قد استخدمه العلماء اليسوعيون لأول مرة، ثم حدث أن تناوله الفيلسوف لايبنتز حينما ألف "مذكرات تريفو" ''Memoires de Trevoux'' وترسخ حتى صار وصفًا له "فيلسوف التفاؤل" حينما جمع أعماله في مؤلفه "العدالة الإلهية" ''Theodicee'' الذي صدر عام 1710م، كذلك الحال مع مصطلح "الطبيعة الطابعة" '' Natura

ISSN 2664-1682

naturans الذي حاز شهرة واسعة، اقترنت بكل من "جيوردانو برونو" و"سبينوزا" لكنه بالأساس مصطلح مهاجر من العربية إلى اللاتينية كما أوضحت الدراسات بعد ترجمة أعمال الفيلسوف "ابن رشد".

وعلى ما تقدم فإن مصطلحات الهيرمنيوطيقا ليست استثناءً من حيث ما جرى على مصطلحات الفلسفة عمومًا، فإذا كان لكل مذهب أو نسق أو تيار مصطلحاته الدالة عليه فإن للهرمنيوطيقا مصطلحاتها الدالة عليها، ولهذا السبب كثيرًا ما رأينا الفلاسفة يشكون من أنهم لا يفهمون بعضهم بعضا، خاصة وأن لكل منهم مصطلحاته المتخصصة التي تأخذ على عاتقها تبيان الدلالة الدقيقة لمفهوم من المفاهيم التي يريد إيصالها، ولذلك نجد أحيانًا مصطلحات بما يعنيه "علم المصطلحات" ‘‘Terminology’’ من معنى خاصة بفيلسوف دون غيره لفهم فلسفته، والأمثلة على ذلك كثيرة، لعل أولها وأقدمها محاولة أرسطو المتمثلة فيما قدمه من بيان للمشترك اللفظي، والترادف وانتقاء الكلمات التي لا تعتمد المحورية البشرية غير المبررة، وضرورة إيجاد مصطلحات تقنية تلبي الحاجة إلى الدقة التي تتوافق مع المنهجية العلمية، وهكذا، تتوالى المحاولات سواء من الفيلسوف نفسه أو من غيره لفهمه، فصرنا نرى فيما بعد مصطلحات فلسفية خاصة بـ"كانط" وأخرى خاصة بـ"هيجل" وغيرها بـ"هايدجر"، وبالفيلسوف الذي قيد دراستنا، مع الأخذ في الحسبان أنها ليست مصطلحات تقف عند بيان مراده فحسب، بل تتعداه أحيانًا لتبين رؤية النسق الذي يمثله بأسره، وتصير عنوانًا له، وهذا لا يعني بأن ذلك يشكل غموضًا للفيلسوف أو لنسقه يبعده عن الحياة، بل بالعكس تقدم إيضاحًا عن جوانب غامضة فيه، أو ربما لم يتم التطرق إليها، خاصة عندما كان ينقل معرفة جديدة من شأنها العمل على تنظيم فكرة ما

ISSN 2664-1682

، ومن ثم الربط بينها وبين غيرها، فدراسة مصطلحات فلسفة من الفلسفات تعطيها تخصصها ، وتؤكد هويتها، وترسخ طابعها الذي يميزها عن غيرها.

والمصطلحات التي استهدفت بالدراسة تبعًا لأهميتها هي كالآتي:

1– الدائرة الهرمنيوطيقية: The Hermeneutic Circle

وهي أن ما يكتنزه المؤول من خبرات وفهم تكون بمنزلة المؤهلات التي تمكنه من "الفهم سلفًا" "Fore-understand" من خلال رده كل ما يواجهه لها، كمرآة يعكس عليها ما يقع تحت اهتمامه، فمثلًا عندما يتناول نصًا بالقراءة، فإنه يتناوله بتوقعات معينة مرسومة سلفًا، وهذا ما يعرف بالإسقاط المسبق Fore-projection الذي ينبغي له أن يراجعه على الدوام، ذلك أن كل مراجعة لإسقاط من شأنها تقديم إسقاط جديد من المعنى، ويحدث أن تصطف الإسقاطات المتنافسة، فينتج عن اصطفافها أن يصير المعنى أكثر تجليًا، على أن هذه العملية المتواصلة في كل مرة تنفتح على إسقاط جديد، وهكذا، يفضي كل إسقاط على آخر، وهذه الحركية هي في جوهرها حركة الفهم والتأويل "فهذه العملية المتواصلة لإسقاط جديد من شأنها أن تشكل حركة الفهم والتأويل" (Gadamer, 2006,p.269)، وحتى يصل المؤول لمرحلة الإبداع عليه أن يعرف كيف يعود من النص إلى ذاته، متفحصًا إياها بالبحث عن المعاني المسبقة التي ينطوي عليها حتى يبلغ أقصى فهم ممكن، وهذا يتم في عملية متبادلة تتمثل في محاورة النص الذي يخفي عوالم متعددة ، ثم يعود لذاته ليحاورها، وبالتالي فإن دائرية الأحكام المسبقة لا غنًى عنها في سبيل إحراز فهمٍ تأويليٍّ على الإطلاق.

ISSN 2664-1682

2– الموضوع الجمالي: Aesthetic Object

كل عمل فني أو جمالي له موضوعه الذي يحمل دلالة ما، لا معنى لها إلا متى تجلى لذات تقوم باستعراضه وتمعنه، فيصير بذلك مدركًا ؛لكونه بالأساس قابلا للإدراك بما يحمله من قصديات ضمنية تنفتح على الآخر وتجذبه إليها، فتحدث لحظة التفاعل من الآخر ولن تبقي لهذا العمل قصدياته الكامنة فيه، بل سيكتسب دلالات أخرى بفعل الانسجام معه من قبل المتفاعل بعد تفكيكه وإعادة بنائه ، فتصير دلالات العمل متجددة، فالموضوع الجمالي ليس "كيانًا منفصلًا ، ولا ينبغي التعامل معه على هذا النحو، لما له من أصالة تمارس سطوتها على القارئ والمؤول أو المشاهد فيصير "حدثًا" نحن نشارك فيه" (Chris Lawn & Niall Keane,2011,p.9)، ومشاركتنا تكون بالظنون أو التخمينات وتصورات من شأنها استدعاء كل ما فيه من المعاني المخفية انطلاقًا من كونه أثرًا يمكن اكتشافه من جديد، طالما كل ما فيه من أسلوبية، وسبك لألفاظ تسيغ ممارسة الفعل التأويلي عليه، فكل موضوع جمالي هو في حالة وحدة مع متلقيه يُحدِثُ فهمًا تصوريًا سواء كان نصًا أو لوحًة، وما من شك أن كل ما يتمناه من قدم عملًا ما ، ولتكن رواية مثلًا، هو أن يجد من يتلقاه، ويمتلك المهارات اللغوية والذائقة الفنية والبراعات اللسانية للتفاعل معه، فهذه جميعًا "قدرات تواصلية تمكنه جميعها من فهم النص وتأويله ، إنه متلق مثالي ينشده الراوي" (محمد القاضي،2010 ، ص318).

3– توقع المعنى: Anticipation of Meaning

هو فهم القارئ معنى كاملا من خلال جزء من النص، وبالعكس فهم جزء من النص من خلال المعنى الكامل، والواقع أن النص لا يتم معناه بمجرد فهم جملة أو عبارة منه، وهذا فيما يرى غادامير يعود لقاعدة تأويلية ناشئة عن بلاغة قديمة، من شأنها أن

ISSN 2664-1682

توقعنا فيما أطلق عليها بـ"العلاقة الدائرية" A circular relationship ، والذي ينبغي هو منح كل مدلول مزيدًا من الفرص لإلقاء مدلولاته لا أن نحده عند حد ما عملًا بما يقره "رولان بارت" 'Barthes'' حينما قال "العلامة كسر لا ينفتح أبدًا إلا على وجه علامة أخرى"(R. Barthes,1970, p.72)) ، وعلى أية حال، فإن كمال فهم المعنى غالبًا وفقًا لغادامير تعرقله مقاومة النص التي تتضمن توترات تنفرض بفعل الزمان والمكان على أقل تقدير، خصوصًا عندما يتداخلان في ذاكرة المتلقي فينتهيان به لنهاية ربما تكون غير واقعية، وما يجب هو أن يتحد المعنى العام للنص، حتى ينفتح أفقه على توقع جديد، وذلك يتسنى "بتحرك الفهم بثبات من الكل إلى الجزء، ليعود من الجزء إلى الكل"، في الوقت الذي تكون فيه المهمة الملقاة على عاتق المتلقي هي أن يعمل على "توسيع وحدة المعنى وبسطها" (Gadamer, 2006,p.291) ويحدد غادامير هنا معيارًا للفهم الصحيح في شكل نتيجة تحدث جراء التناغم "بين جميع الأجزاء مع الكل"، أما معيار الفشل يكمن في انعدام التناغم الذي يعني ضمنًا أن تفاعل المتلقي على مستوى الفهم لم يحدث أن اتفق فيه ما هو واقعي مع ما هو ممكن وبالتالي حدث الإخفاق.

4– (إن الوجود الذي يمكن أن يكون مفهومًا هو اللغة)

Being that can be understood is language

عبارة يقصد من ورائها غادامير أن الوجود يكمن وراء اللغة ويتجاوزها، وهو من يعطي لها الإمكان، وبعبارة أخرى، ثمة أولوية للغة على التفكير، وليس للتفكير على اللغة، فالقارئ ينبغي له أن لا يتناول نصًا إلا وهو مدركٌ لمعنى هذه العبارة، وإذا ما تيسر له ذلك، فإنه حينئذ يستطيع استنطاق مسكوت النص وإيضاح غموضه، وذلك لأن كل نص له بعده الزماني والمكاني ، وعليه فإن للغة بشكل عام بناها الوجودية التي تحتل أزمانًا "جرى

ISSN 2664-1682

تفعيلها من خلال إعطائها أصواتًا فيها بفعل التجربة ، وعليه فإن علاقتنا بالعالم جرت في ضوء الفهم والتأويل، وهذان الخيطان المتشابكان دائمًا ما تتوسطهما اللغة، وبعبارة أخرى، تدعم اللغة العلاقة التفسيرية المفهومة للإنسان مع العالم"(Chris Lawn & Niall Keane,2011,p.88)، وهنا لابد من الإشارة إلى أن لكل صوت ملفوظ بنية تحمل تصورا له معنى يقصده، قد لا يتجلى إلا بإضافة ألفاظ أخرى له.

5– حلقات الحياة التاريخية المغلقة: Closed circuits of historical life

هي ما تتضمنه الذاتية من حضور للأشياء والموجودات حدثت بفعل تراكم خبراتها الماضية بها فصارت كما لو أنها مرجعية ذاكراتية لها، تشدها كلما تناهى وعيها أو إحساسها بما يماثله، وهذا ما قصده غادامير بالمصطلح لما كان مرتبطًا بوعي الفرد الذي يعد مجرد ومضة في حلقات الحياة التاريخية المغلقة، فتصير مثلًا عبارة ما مرتبطة في وعيه بأخرى مخبوءة بفعل ماضيه الخبراتي، وقد بنى عليها حكمًا أو ارتبطت عنده بأحكام وتحيزات، تصير تستدعى كلما صادف عبارة تشبهها أو ترتبط بها بصورة ما، أو كمثال آخر، مشهد ترسخ في تصوراته ن وقد ارتبط بحدثٍ أو حتى ترنيمة ما يظل فيما بعد كلما صادف ما يشبهه يعيده لذلك السابق وبما اقترن به، ويجري استحضار الوعي السابق هنا دون شعور من الفرد، إنها كومضة تظهر في منطقة الوعي متى ما تمثل أمامه ما يستدعيها للحضور ثانية، ولهذه فيما بعد ينسب غادامير تشكل "حقيقة وجوده التاريخي" “ Constitute the historical of his being” " (Gadamer, 2006,p.278)، وأثرها على الذات يتمثل في أنها تظل تشد الفرد إليها، فتؤثر على أحكامه كما أنها ربما تفتح أمامه سلسلة من الاحتمالات والإمكانات عند قراءته لنصٍ ما مثلًا ، خاصة وأن أي فن من الفنون هو "شكل مغلق في تفرده وككل كامل عضوي متوازن، وفي الأثناء يشكل منتجًا مفتوحًا

ISSN 2664-1682

بسبب قابليته للتأويلات المختلفة التي لا تعد ولا تحصى، ولا تمس خصوصيته التي لا تقبل التغير، ذلك أن كل تلقٍّ أو استقبال لعمل فني هو تأويل وأداء له، حيث في كل استقبال يأخذ العمل منظورًا جديدًا لنفسه"(Umberto Eco,1989,p 4.)، فالمتلقون بلا شك يختلفون في وعيهم ورؤاهم، وما يحضر لهم من صور ذهنية.

6– الخبرة: Experience

هي اللحظة من الزمان التي تنتمي لمرحلة تاريخية معينة، قُدِّمَ في حينها نصٌّ مقروءٌ معينٌ أو عملٌ فنيٌّ ما، من شأنها أن تعمل على التقاء الملقي والمتلقي/ المؤول والمؤِّول/ النص والقارئ، يكون فيها الثاني مزودًا بخبرة تأويلية إلى جانب ما تنطوي عليه ذاته من تحيزات تمثل فهمه المسبق Pre-understanding هذه الخبرة التأويلية تمكنه من خلالها تمييز ما وقع في دائرة اهتمامه تاريخيًا، أي يفهم الموقف /الوضع /اللحظة التاريخية التي أنتج فيها العمل الذي هو قيد اهتمامه، إنها بالنسبة للمؤِّول بمنزلة تمثيل واستحضار لعملية جرت في الماضي، وفي الوقت ذاته جر اللحظة التي هي الآن والرجوع بها للماضي، لذلك فكل عمل بما في ذلك الفني منه، ينطلق من الخبرات أو التجارب ولا يلبث حتى "يرتفع فوقها ليتجاوزها فيكتسب أهمية عالمية تتجاوز التاريخ" (Gadamer, 2006,p.xiii). وهذا لا يعفي القارئ/ المؤِّول أن يحيط بالظرف أو المقام الذي أنتج فيه ما هو بصدده سواء كان مقروءًا أو حتى ملفوظًا أو حتى مشاهدًا، فجزء من تفاعله تأويليًا معه لا يتم بل ربما يكون من المستحيل (إذا اقتصر السامع على الجملة وظل جاهلا بالمقام الذي نشأت فيه) " (محمد القاضي،2010 ، ص.ص 256-7)، فكل عمل نتج عن خبرة يمتلك انفتاحا في ذاته يجعله في حراك دائم يتجاوزها لغيرها، فكل خبرة في نظر غادامير هي ضمن مجال الفهم، سواء كانت علمية أو إنسانية أو فنية أو حتى فلسفية هي "في النهاية جانب من

ISSN 2664-1682

جوانب الفهم التأويلي من حيث إنه ينطوي على "بنية دائرية" "Circular structure" من عدم الاكتمال" (Chris Lawn & Niall Keane,2011,p.154)، وعليه فإن كل خبرة "عمل" صدرت هي ليست رهينة بقاعدة مضبوطة ونهائية عملت على تجميدها للحظتها.

7– التحام أو انصهار الآفاق: Fusion of horizons

يقول غادامير: "ينم مفهوم الأفق على نفسه، لأنه يعبر عن سعة الرؤية العظمى Superior breadth التي ينبغي للفرد الذي يريد أن يفهم أن يمتلكها" (Gadamer, 2006,p.304). فالأفق هو في معناه الأبعد حسي، ويظل لغويًا إذ اللغة تمده بالانكشاف والحد ، والمرء مطالب بأن يحرز أفقًا ليس بالمعنى الذي يتبنى فيه وجهة نظر غيره أو أن يتقمصه عاطفيًا، بل عليه أن ينتقل مرتقيًا إلى شمولية أعلى متجاوزة لطبيعته الجزئية وطبيعة الآخر الجزئية كذلك لدرجة تذوب فيها الذات مع الموضوع وبالعكس، ولا يفهم من هذا أنه يصرف نظره عن الأشياء القريبة بل أن يراها من أعلى بصورة "بانورامية" تشتمل على جميع الأجزاء والمكونات التي تمثلها، بطريقة تتيح لنا رؤية الذات، ورؤية الآخر التاريخي، فالأفق إذن هو طموح من نوع عال متحرك أبدًا إلا أنه رغم ذلك يستعصي على التحقق التام، ذلك لأننا لا يمكن أن ننجز الشفافية التامة نحو الآخر، وعليه أكد غادامير أن انصهار آفاق التأويل لا يصل إليه المتلقي بصورة مطلقة، وذلك لما كان متصفًا بالتغير الدائم، ولا يعرف الاستقرار على معنى بذاته، بل إنه كلما لاح منه معنى أحال إلى معنى آخر، إنه تمامًا يتصف بالاختلاف الذي يتسم به أفقنا البصري مع كل خطوة نخطوها (Gadamer,2004,p.61)، فكل أفق هو لذات كما كل قراءة

ISSN 2664-1682

هي لقارئ ، وهذا القارئ يقوم بنشاط "سميولوجي (علاماتي أو دلالي) متعدد الأطراف على حد تعبير "إيكو".

8– الوعي المتأثر تاريخيًا: Historically effected consciousness

هو عنصر الفهم ذاته، ويؤثر في عملية إيجاد السؤال، هكذا بإيجاز يعرفه غادامير، لكن ما علاقته بالتاريخ؟ في الواقع أن كل وعي هو وعي متأثر بالتاريخ طالما أنه يعيش لحظته ، ويبحث في غيرها من الماضي، والثابت أن هذا الوعي هو وعي المؤوِل الذي يتضمن ماضيا تأويليا مؤثرا فيه، إنه ماضي ذاكرته التي تختزن معطيات ثقافية متنوعة وتوقعات وتخمينات تصير في حالة سيرورة لا تنتهي بمجرد التفاعل مع العمل الفني او الشروع في معالجة نصية ما، فكل عمل فني أو نصي يتضمن ما يشجع الوعي الذاتي التاريخي على المضي فيه، وذلك لما كان ذلك العمل أو النص يمتلك ديناميكية متحركة هي على المستوى الأبعد فعالية محفزة للوعي على أن ينفتح على عددٍ لا متناهٍ من التأويلات، فالمؤول هنا هو السائل الذي يطرح السؤال منطلقًا من ذاته وبالتالي "لن يتسنى له موقفٌ يكون فيه محايدًا بحيث يستجوب ما هو بصدده من عمل، ذلك أن موقع التأويل هو ذاته الماضي على الحاضر" (79.Chris Lawn & Niall Keane,2011,p)، فيحصل أن يكون النص متضمنًا "لإحالة ما في محاولة لسد فجوة ما ربما تكون نتيجة لإضمار أو لحجب (محمد القاضي،2010 ، ص 15)، وعليه، فكل وعي هو وعي تاريخي أي متأثر بالتاريخ ، وبما يتضمنه من خبرات إذا ما وظفها ، تمكنه من تقديم رؤيته ونموذجه التأويلي، الفعل الذي تكون نتيجته إحداث التوالد في النص بما يحافظ على أصالته وخصوصيته.

ISSN 2664-1682

9–الانطولوجيا: Ontology

عند غادامير تستمد أساسها من أستاذه هايدجر (1889–1976)، وتحظى بقيمة جوهرية عنده حيث نلمس ذلك في مؤلفه "الحقيقة والنهج"، ففي الوقت الذي يؤكد فيه بأن التأويل لا يعبر عن ذاته بوصفه "فلسفة عملية" "Practical philosophy" فحسب، بل إنه أيضًا قبل كل شيء هو "أنطولوجيا تأويلية" "A hermeneutic ontology"، فالتأويل يتسم بطبيعة البحث الدائمة ، وهذا ما يقصده غادامير بالطبيعة الحوارية للتأويل، بسبب ما في بنية اللغة من تطور وتغير يعكس تأملًا من شأنه أن يعمل على انفتاح أو توسيع ما يطلق عليه غادامير "أفق الأنطولوجيا التأويلية" الذي لا يقف عن قيد ولا يحد بحد؛ لأنه ببساطة لا "إجراء رسمي" له، سوى أنه يثري ذاته "Self- perpetuating" بما يتمتع به من "ديناميكية" فعالة لا تفتر ولا تنقطع، وعليه فاللغة تلعب دورًا محوريًا في أية عملية تسعى نحو الكشف الأنطولوجي الذي لا ينفتح إلا باللغة، كما لا يمكن التعبير عنه إلا بها، واللغة من حيث هي كلمات منطوقة أو "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"(ابن جني، الخصائص ص.43) لذلك فهي في ماهيتها إجراء يتم بين ثلاثة مكونات أو عناصر هم مُخَاطَب ومخاطِب والأنطولوجيا التي بينهما التي تجعل اتفاقًا بينهما من حيث استعمال الكلمات، وهنا "لا تسأل عن المعنى ، ولكن سَل عن الاستعمال" (Janet Fodor,1977, p.19) ، فالاستعمال هو الفعل أو العمل الذي يأخذ صورة من الصور التي من طبيعتها إما الانفصال وإما الاتصال، وعلى أية حال، ما كان لغادامير أن يطور أنطولوجيا اللغة لو لم يقم هايدجر بتفكيك تاريخ الأنطولوجيا، وبذا التطوير يستقيم القول بأن غادامير تمكن من القضاء على البعد أو الانقسام خصوصًا ذلك الذي بين الذات والموضوع.

ISSN 2664-1682

10– اللعب: Play

تحتل فكرة اللعب مكانة رئيسة بشكل خاص في مؤلف غادامير "الحقيقة والمنهج" خصوصًا فيما يتعلق بالجماليات، فقد سعى للتحول بهذه الفكرة من النحو الذي كانت عليه مع "كانط" و"شيلر"Schiller" إلى الفن واللغة، ومنذ أرسطو الذي قال نحن "نلعب من أجل الاستمتاع"!، عليه فما هو اللعب عند غادامير؟ وهل من يلعب يعلق الجدية جانبًا خاصة وأن اللعب يتضمن جديته الخاصة؟ الحقيقة أن اللعب عند غادامير هو حدوث للحركة بحد ذاتها، ولذلك تتعدد معانيها الاستعارية "فنجد أننا نتحدث عن لعب الضوء، ولعب الموج، ولعب لمعشق تروس الناقل للحركة في آلة، وكذلك تفاعل لأطراف جسم الإنسان، ولعب القوى، ولعب البعوض، وحتى لعب الكلمات (Gadamer, 2006, p104)، فمها تعددت صور اللعب هو في معناه الأبعد ينم عن حركة من وإلى، إلى ما لا غرض أو سر، فهو تجديد وتكرار لا متناه لا يحمل غاية في ذاته أبدًا، ونحن من نقوم بربط "ظواهر كظاهرة اللعب بحقل الذاتية" "Sphere of subjectivity" وغادامير حينما ينقل المفهوم للفن يريد أن يوضح أن ما تتضمنه عملية اللعب هي كونها تجعل من اللاعب منجذبا إليها دومًا لما كانت لا تتضمن أفقًا في ذاتها، ثم إنها حالة متصاعدة من الشعور بالوعي الجمالي بالمعنى الذي تعنيه الجماليات لما بعد المعنى "الكانطي"، وقد ذكر غادامير بأن اللعب يقوم على لعبة ولاعب ومتفرجين تربط بينهم علاقات متحركة، وقد أطلق على هذا التوضيح "اللعب جنبًا إلى جنب" " A playing along with" فللعبة الأسبقية على اللاعبين الفرديين، وصحيح أن للفرق التي تمارس اللعب لها لاعبون نجوم وأفراد أساسيون يكتسبون مجدًا شخصيًا، لكن المهم، وفوق ذلك كله هو أن "اللعبة ذاتها حيث يشرعن اللعب ستحظى على الدوام بشمولية أكثر من

ISSN 2664-1682

سلوك اللاعبين وتصرفاتهم" (Chris Lawn & Niall Keane, 2011, p110)، ويجر غادامير هذا التشبيه على حدود الذاتية من حيث أشكال الفهم والفرد، فنسبة اللاعبين إلى بنية الفريق أو اللعبة ذاتها، كتلك التي للذات الفردية المفكرة حيث تعد مجرد جزء من عملية تأويلية أكبر يسميها "حلقات الدوائر التاريخية المغلقة" " The closed circuits of historical life" التي يكون فيها الوعي الذاتي مجرد ومضة خاطفة، ذلك لأن التاريخ لا ينتمي إلينا بقدر ما نحن ننتمي إليه، بعد أن أجرينا عملية فحص الذات التي بينت لنا أننا في كل مرة جزء في حلقة أكبر وتتسع، ولهذا لدينا أحكام مسبقة تشكل حقيقة وجودنا التاريخي. وهي متمثلة في اللغة والعادات والتقاليد.

11– منطق السؤال والجواب: The Logic of Question and Answer

بالأساس كان كولينجوود (1889–1943) هو من ابتكره عندما أصر في دراسته للآثار البريطانية "بريطانيا الرومانية" "Roman Britain" على البحث بالسؤال والجواب، وعرف عنه أنه يستخدم المنطق القائم على شقين "الاستقراء والاستنباط"، وعلى أية حال، فإنه تم النظر إلى أن "منطق السؤال والجواب" على أنه منطق يقابل المنطق الصوري التقليدي ويضاده، وقد تلقف غادامير "منطق السؤال والجواب" موظفًا إياه كإجراء لفهم النصوص التاريخية واستنطاقها، فكل نص صار موضوعًا للتأويل هو في الحقيقة نصٌّ تاريخيٌّ يحتمل "الظاهرة التأويلية" "The Hermeneutical Phenomenon" وعليه عند استعراضه يظل نصًا يطرح سؤالًا بغية الوصول لمعنى يلتقي فيه أفق المؤول وأفق النص، هذه هي المهمة التي من ورائها قصد غادامير توظيف "منطق السؤال والجواب" والنتيجة المرجوة من ورائه بوجه خاص فهم النصوص التاريخية، فلن يحدث الفهم ما لم يتم طرح السؤال "فالمرء الذي يريد أن يفهم ينبغي له أن يتساءل عن ما يكمن وراء ما قيل"

ISSN 2664-1682

(Gadamer, 2006, p.363)، وما يقع تحت فهمه عليه أن يتصوره كإجابة عن سؤال طرحه حتى يتمكن من إعادة بنائه بما يضفيه من فرضيات تعتمل في مخيلته وتوقعات يسعى للوصول إليها إن كان قارئًا نموذجيًا، فالقارئ النموذجي هو الذي يكون "قادرًا على أن يتحرك تأويليًا كما تحرك المؤلف توليديًا" (امبيرتو ايكو،2007، ص22)، بمعنى أنه يجري فهمًا كما لو أنه سأل مسكوت النص من خلال تفكيك أبنيته وإعادة تركيبه حتى تتحقق له القراءة البناءة التوليدية.

3. النتائج:

مما سبق نستنتج أن مهمة تتبع سيرة المصطلحات بقدر ما هي رائعة، وما فيها من متعة، فإنها في الوقت نفسه تنطلي على قدرٍ لا بأس به من التعقيد والصعوبة لكونها تقصد الوقوف على حقيقتها، وأن دراسة أي مصطلح تستلزم الوقوف على بنيته وكنهها، وبالتالي لابد من السؤال عن نشأته وظروف تكوينه ضمن مسار التاريخ انطلاقا من مهده الأول، وكذلك ضرورة الرجوع للظروف التي دفعت لسبكه وصياغته بل حتى الدوافع التي سيقت لأجله.

كما استنتجنا أن مصطلحات غادامير الهرمنيوطيقية تتسم بالديناميكية الحركية المتواصلة بين الذات والموضوع من جهة، والذات والآخر من جهة ثانية، ولا تعرف السكون وتحيل إلى الحركة الأساسية للوجود الإنساني المنفعل المنطوي على التاريخ واستغراق الخبرة لإحداث حركة فهم شاملة.

ومما لا يدع مجالًا للشك أن غادامير حاول من خلال مصطلحاته إسقاط فرضية النشاط المستقل للوعي، فكل وعي يتشارك مع غيره طالما هناك قاسم مشترك بينهم متمثل

ISSN 2664-1682

في اللغة، مما يفتح الباب أمام التأويل الذي بدوره يفتح باب الإمكان لإجراء التحاور والاستكشاف والدفع نحو الإنتاجية والإبداع.

المراجع

أولا: المراجع العربية

إيكو أمبيرتو (2007). *العلامة، تحليل المفهوم وتاريخه*، (ترجمة سعيد بنكراد)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1.

ابن جني عثمان (1981). *الخصائص*، تحقيق محمد علي النجار، ط3، الهيئة المصرية للكتاب، ج1.

القاضي محمد "إشراف" (2010). معجم *السرديات*، عمل جماعي، دار الملتقى، المغرب، ط.1.

ثانيًا:المراجع الأجنبية:

Barthes, R., (1970) *Empire des signes*, éd, Flammarion, Paris.

Fodor Janet, (1977) *Semantics, Theories of Meaning in Generative Grammar*, Crowell, New York.

Gadamer, H.G., (2004) *Century of Philosophy*, Hans Georg Gadamer in Conversation with Riccardo Dottori, (London: Continuum).

Gadamer H.G., (2006) *Truth and Method*, Eng Trans by: Joel Weinsheimer and G. Marshall, Second Revised Edition, Continuum, London, New York.

ISSN 2664-1682

Lawn Chris & Keane Niall, (2011) *The Gadamer Dictionary*, Continuum International Publishing Group, London.

ISSN 2664-1682